الفصل الرابع

إبليس وامرأة العزيز

عندما أرادت امرأة العزيز أن تذل قدم يوسف للمعصية، وما كان فعل زليخة إلا لنزغ الشيطان وضربه على أوتار ضعفها ورغبتها؛ حتى ينال من يوسف، فامرأة العزيز قد كانت لا تنجب بسبب عقم زوجها، فلما جاء العزيز بيوسف عندما اشتراه قال لامرأته:

"وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢) يوسف

ولما كان يوسف يتمتع بجمال باهر وحسن في الخلق والخلقة ، فتنت به وأحبته حباً شديداً، و أخذت تتقرب منه و تبدي له حبها، إلا أن يوسف عليه السلام كان دائماً يعرض عنها امتثالاً لأوامر الله وخوفاً من عصيانه اشتد هيام هذه المرأة بيوسف، وهاج بها الغرام لدرجة أنها راودت يوسف في

حجرته، إلا أن يوسف أبى و أراد الخروج من المكان، فمزقت له ثوبه من الخلف، و عندما وصل إلى الباب و فتحه وجد زوجها عند الباب، و قد وصف ذلك الموقف في القرآن الكريم في الآيات التالية من سورة يوسف:

(وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) يوسف

صارح يوسف عليه السلام زوج المرأة بالأمر، وفي تلك الأثناء، دخل رجل لبيب و فطن، و عندما علم بالقصة بين أنه ليبان الحق سيرون قميص يوسف إن كان قد شق من الخلف، فهو صادق و هي كاذبة، و إن كان قد شق من الأمام فهي الصادقة ويوسف من الكاذبين، إلا أن الواقع كان أن القميص قد شق من الخلف، مما يدل على أن امرأة العزيز هي من راودت يوسف و لاحقته، و قد بينت الآيات الكريمة من سورة يوسف ذلك بما يلي:

هِيَ رَاوَدتْنِي عَنْ نَفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩) يوسف.

شاعت هذه القصة بين نساء المدينة، فتحدثت كل النساء عنها بالسوء و تعجبن للأمر، فأرادت امرأة العزيز مقابلة كيدهن بكيد ومكر أعظم، فأعدت لهن حفلاً وهيأت لهن الأرائك وقدمت لكل منهن صحناً من الفاكهة مع سكين، و بعد ذلك أمرت يوسف بأن يخرج عليهن، فسحرت جميع النساء بجماله و حسن خلقته لدرجة أنهن قمن بتقطيع أيديهن بالسكين، فقد جاء في الآيات الكريمة:

(وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ

كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) يوسف

عندما تمثلت له زليخة في حل الزينة والأغراء والرغبة قال معاذ الله استعاذ بالله من الشيطان الرجيم وتذكر فضل سيده كيف يخونه في أهله بعدما أواه وأحسن تربيته، وهنا لم تفلح خطوات الشيطان لأنه من عباد الله المخلصين؛ إذن فالإخلاص واجب في عبادة الله؛ للنجاة من الوقوع في حبائل الشيطان و اتباع خطو اته.

من أين يتخلق الإنسان بالخلق الكريم والتقوى؟؛ من القرأن وقصصه الكريم، فقصة يوسف من أحسن القصص؛ والقَصص هنا بالفتح: هو النبأ والخبر، ويقولون هي أحسن الأخبار والأنباء لما اشتملت عليه من مواعظ وعبر وتهذيب وتأديب.

واختلف العلماء لم سميت هذه السورة أحسن القصص من بين سائر الأقاصيص؟ فقيل: لأنه ليست قصة في القرآن تتضمن من العبر والحكم ما تتضمن هذه القصة؛ وبيانه قوله في أخرها: لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب. وقيل: سماها أحسن القصص لحسن مجاوزة يوسف عن إخوته،

وصبره على أذاهم، وعفوه عنهم - بعد الالتقاء بهم - عن ذكر ما تعاطوه، وكرمه في العفو عنهم، حتى قال: لا تثريب عليكم اليوم. وقيل : لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين، والجن والإنس والأنعام والطير، وسير الملوك والممالك، والتجار والعلماء والجهال، والرجال والنساء وحيلهن ومكرهن، وفيها ذكر التوحيد والفقه والسير وتعبير الرؤيا، والسياسة والمعاشرة وتدبير المعاش، وجمل الفوائد التي تصلح للدين والدنيا. وقيل لأن فيها ذكر الحبيب والمحبوب وسيرهما. وقيل: "أحسن" هنا بمعنى أعجب.

وقال بعض أهل المعاني: إنما كانت أحسن القصص لأن كل من ذكر فيها كان مآله السعادة؛ انظر إلى يوسف و أبيه وإخوته، وامرأة العزيز؛ قيل: والملك أيضا أسلم بيوسف وحسن إسلامه، ومستعبر الرؤيا الساقي، والشاهد فيما يقال: فما كان أمر الجميع إلا إلى خير. وذكر القرأن فيها جملة القول في حسنها.

"نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ" (٣) يوسف

ألم يجعل الله في القرآن شفاء للعالمين؟؛ شفاء من كل داء للنفس التي تجنح بعيدا عن درب المؤمنين، الذين جعلهم الله من صفوة عباده وسماهم عباد الرحمن، عليك أيها الإنسان المسلم أن تتحصن بالقران لتفوز فوز المؤمنين وتكون من عباد الرحمن.